الفنون الإسلامية

الفنون لمسة من لمسات الإبداع، يعبّر بها الفنان عما يختلج في نفسه من أحاسيس التقدير والعرفان بعظمة الكون الذي يعيش فيه، وإذا كانت وسيلة التعبير هي الفرشاة أحياناً والإزميل في أحيان أخرى فإن نتاج الفن الإسلامي من رسوم ونقوش وزخارف ولوحات فنية تسجل انفعال الفنان بما يدور حوله قد بلغ في العصور الإسلامية مبلغاً من الروعة والسمو يجعل صانع هذا الفن يتربع على مواضع القمة مع غيره من أساتذة الفنون في مختلف القرون والأزمان.

وإذا كانت العقيدة الإسلامية قد نأت بهذا الفنان عن أن يلجأ إلى تصوير الكائنات الحية آدمية وحيوانية؛ تنزيهاً منه للخالق الذي ينفرد بالخلق والإيجاد، واعترافاً بالقدرة الإلهية والوحدانية، ونفوراً من كل ما قد يوهم بالاقتراب من الشِّرك فإن الفنان الإسلامي قد وجد في الزخارف الهندسية وفي العناصر النباتية، وفي نماذج الكتابة والخطوط العربية معيناً لا ينضب، وَظَّفَهُ ذلك الفنّان بمهارة فائقة في التعبير عن إحساسه بالجمال في تجميل المساجد والقصور، وفي إخراج قطع فنية من الأثاث والسجاد والنسيج والخزف، وفي التأنق في طباعة المصاحف الشريفة وتجليدها وتذهيبها، وفي إبداع الثريات والشماعد والمشكاوات، وفي إنتاج التحف المعدنية والمصنوعات الزجاجية والبلورية، وفي الصناعات الخشبية متمثلة في الخرط والحشو والتكفيت والتعشيق وغيرها.

وكان أن خلَّف الفن الإسلامي روائع فنية تزهو بها متاحف الفن في أرجاء المعمورة تشهد للمجتمعات الإسلامية الأولى بالريادة والسبق في مدارج الحضارة والعمران. وهذا الفصل في (الفنون الإسلامية) يقدم للباحث والقارئ تعريفاً بالمصطلحات الرئيسة المستخدمة في المصادر للتعريف بالفن الإسلامي.

- البسط الإسلامية:

بُسُط وَأَبْسطَة جمع بساط. والبساطُ كل نسيج يبسط على الأرض. والمقصود بالبُسط الإسلامية ما اشتهرت به بعض البلاد الإسلامية وتميزت فيه بطرز خاصة في صناعتها. وتقسم البُسُطُ على هذا الأساس إلى الأقسام التالية:

(أ) من حيث الصناعة:

البسط المنسوجة والبسط ذات الوبر المصنوعة بطريقة العُقَد، وهذا النوع الأخير هو ما يطلق عليه السجاد. أما الأولُ فيعرف عادة باسم الكليم، كما تختلف البسط بتنوع الخامة المستخدمة في صناعتها، وأهمها الصوف والحرير فضلاً عن الخيوط المعدنية التي تزخرف بها من ذهب وفضة.

(ب) ومن حيث فنها:

تقسم البسط إلى مجموعة بحسب موضوعاتها الزخرفية والألوان والصبغات الشائعة الاستخدام فيها، فمنها الأشكال الهندسية المتشابكة، والزخارف النباتية والفروع والبراعم المزهرة والطيور والحيوانات المتحوّرة.

هذا بالإضافة إلى وجود بسط تزدان بالكتابات الكوفية التي تنسق بطريقة زخرفية على هيئة أشرطة، وكذلك الجامعات النجمية الشكل، وأصبحت هذه الطرز تقليدية في بعض البلدان؛ رمزاً على المناطق التي تصنعها، ويعتمد عليها الخبراء في التمييز بينها.

ومن أقدم البسط الإسلامية ما اكتشف بمدينة الفسطاط ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن الأول الهجري، ويشتمل على كتابات كوفية وزخرفية.

وقد أينعت صناعة البسط في الأناضول وتميزت البسط التركمانية بأنها كانت تستخدم في تزيين الجدران والخيام. وكانت بخارى وما تزال مركز هذه الصناعة. واشتهرت إيران وجيرانها خاصة بصناعة البسط.

ومن المدن التي أصبحت مركزاً لهذه الصناعة تبريز، قاشان، همدان، كرمان، وأصفهان.

- التحف المعدنية:

التحفة هي الطُّرْفَةُ، وتطلق على ما لَهُ قيمة فنية أو أثرية.

وجمع تحفة تُحَفٌ.

والمتْحَفُ: مَوْضِعُ التُّحُفَ الفنية أو الأثرية، (والجمع) متاحف.

والتحف المعدنية هي الآثار التي وصلتنا مصنوعة من المعدن من العصور الإسلامية المختلفة، وقد ازدهرت صناعة التحف المعدنية في صدر الإسلام. وقد وصل إلينا من ذلك العصر أباريق من البرونز ذات مقابض طويلة.

واشتهرت مدينة الموصل في العراق بإنتاج التحف المعدنية المكفتة بالذهب والفضة، كالأواني والشماعد وكراسي العَشاء وصناديق المصاحف والمحابر والأبواب والحلي كالعقود والخواتم والأقراط، كما تشمل النقود وَغَيْرهَا.

وتشمل الصناعات المعدنية كذلك صناعة الأطباق والأمشاط والأقفال ومقابض الأبواب والمفاتيح والقناديل.

وبلغت الصناعات المعدنية في العصر العباسي الأوّل أوجها من ناحيتي الكم والكيف لتلبية احتياجات العالم الإسلامي والبلاد الأجنبية، وظهرت صناعات جديدة، منها أواني الفضة المزخرفة وأباريق الذهب التي تحوي زخارف نباتية وحيوانية.

وظهرت في عصر بني بُوَيْه الأوسمة الذهبية وعليها نقوش وزخارف تصور رءوس أمرائهم.

واحتوت كنوز الفاطميين على الكثير من الحلي الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة والميناء، ومنها خواتم وأقراط ذهبية وفضية متنوعة مصنوعة على شكل أهلَّة، كما زخرفت تلك الحليِ بزخارف متنوعة. وتفنن الفاطميون في صناعة صنابير المياه على أشكال مختلفة.

وتميزت الصناعات المعدنية الإسلامية في العصر المغولي بالدقة، ومن بين تلك الصناعات صناعة الحديد للأغراض الحربية كالسيوف والخناجر والخوذ المخروطية.

أما صناعة الحلي فكانت متقدمة رغم ندرة ما عثر عليه منها.

وفي العصر المملوكي ازدهرت صناعة المعادن بأنواعها، واستخدمت شرائط النحاس في تغطية الأبواب الخشبية للمساجد والقصور، وذلك بعد نقشها بزخارف هندسية جميلة. وساعد على ازدهار صناعة المعادن في هذا العصر اهتمام المماليك بصناعة أدوات توضع في المساجد

واستخدم البرونز في صناعة تلك الأدوات المعدنية التي كانت تزخرف بطريقة النقر وطريقة التكفيت. وظهر في هذا العصر الزخارف المتشابكة وتوزيعات نباتية.

- التذهيب:

اصطلاح في الفنون الإسلامية يقصد به زخرفة المخطوطات باستخدام المداد الذهبي منفرداً أو مع غيره من الألوان. لهذا ارتبط التذهيب بتاريخ الخط وتطوير أساليبه تطوراً يهدف إلى تجميله.

وقد استخدم التذهيب خاصّةً في زخرفة صحائف القرآن وأوائل السور بخاصة.

ولم يقتصر التذهيب على زخرفة المصاحف، بل استخدم في المخطوطات الأخرى، ولا سيما المصورة. ومن أمثلة هذه المصنفات الشاهنامه ومقامات الحريري، وكتب التاريخ الطبيعي من حيواني ونباتي.

ويكون التذهيب على هيئة إطار يحيط بالصفحة كلها أو على هيئة مطلع أو فاصل يقسم الصفحة، أو على هيئة زخرفة يختم بها الفصل.

ويستخدم في التذهيب التشكيلات الهندسية أو التكوينات الزخرفية والتفريغات الورقية والزهرية والمراوح النخلية، وقد تمتد الزخارف فتشمل الصفحة كلها.

ويدرس التذهيب بصفته فنا متصلاً بالخط العربي ومدارس تحسين الخطوط.

- التزجيج وصناعة الزجاج والبلور:

أصل الفعل تزجَّجَ، يُزَجِّجُ، تزجيجاً.

يُقالُ: زجَّجت المرأةُ حاجبيها: دقَّقَتْهُما وَطوَّلَتْهُما.

والزُجاجُ جوهر صلب، سهل الكسر، شفّافٌ، يصنع من الرمل والقِلْي. والزجاجة: القطعة من الزجاج.

وقد أبدع الفنان المسلم في صناعة الأشكال الزجاجية والبلورية، وَتَعَدَّت المنتجات الزجاجية الإسلامية نطاق المحلية إلى العالمية، حيث اشتهرت في أنحاء العالم شرقاً وغرباً.

وظهرت في العصر العباسي باكورة استخدام الزجاج ذي البريق المعدني. وتوجد آثار محفوظة بالمتاحف الإسلامية تدل على ازدهار صناعة التزجيج.

وتدل آثار الفاطميين على براعتهم في معالجة الزجاج الملون من طبقتين بالحفر. وكان الصناع يشكلون الأواني الزجاجية بنفخ الزجاج المصور في قالبيه الواحد بعد الآخر.

وكانت دمشق في عهد المماليك وعلى زمن السلطان الظاهر بيبرس أهم مراكز إنتاج الأواني الزجاجية إلى جانب حلب التي ذاعت شهرتها في إنتاج أفخر المنتجات الزجاجية التي كانت تصدر إلى مختلف أجزاء الدولة الإسلامية.

ويرجع إلى الصانع السوري الأثر الكبير في إنتاج الأواني الزجاجية المطعمة بالميناء الجميلة وانتشارها في بلاد العالم، ومنها أوربا.

- التصوير:

يتفق جماهير الفقهاء على تحريم التصوير في الإسلام، وكان ذلك للقضاء على كل أثر للوثنية وعبادة الأصنام.

وقد ابتعدت الفنون التشكيلية الإسلامية عن استخدام الأشخاص مادة للتصوير والتشكيل، واتجه الفنان الإسلامي إلى العناية بالرسوم والطرز الزخرفية المستمدة من أشكال النبات والأزهار والحيوان.

- التطعيم:

أصل الفعل طَعَّمَ. يقال: طَعَّمَ كذا بعنصر كذا لتقويته أو تحسينه أو اشتقاق نوع آخر فيه.

وطعَّمَ الخشب بالصدف ونحوه: ركَّبهُ فيه للزخرفة والزينة.

وفي الفنون الإسلامية يطعم الخشب بالعاج أو بالعظم أو بالصدف، ويشكل منه منتجات كالعلب والصناديق وحشوات تجمع وَتُلبسُ في الأبواب أو المقاعد أو الكراسي أو الدواليب أو إطارات الصور.. وغيرها.

ويطعم المعدن بمعدن آخر كالبرونز والنحاس والفضة لإنتاج الصحون والأطباق والثُريَّات والأباريق والمباخر.

وقد وجدت في الآثار الإسلامية شواهد تدلُّ على براعة الفنّان المسلم في التطعيم.

- التكسية:

هي استخدام لوحات (القاشاني) لكسوة الجدران أو تغطية الجدران بالرخام. وتطلق كذلك على تكسية المحاريب في المساجد بالرخام المُحَلَّى بالنقوش الذهبية.

وقد تكسى الجدران بالأحجار الملونة من الداخل أو الخارج، وكذلك أسطح القباب والمآذن استخدم عليها الحفر والنحت والتكسية بالبلاط الخزفي الملون. واستخدم أحياناً الطوب غير المطلي في تقسيمات هندسية رائعة.

- التكفيت:

أصل الفعل: كَفَتَ كَفْتاً.

يقال: كفت الشيءُ كفتاً: تقلَّب ظهراً لبطن وبطناً لظهر.

وكفت الشيء وإليه: ضمّه إلى نفسه.

وكفَتَ المتاعَ: جمعه وضمّ بعضَه إلى بعض.

وكَفَتَ الدرعَ بالسيف: علقها به فضمها إليه.

أرض كِفاتٌ: جامعة للأحياء والأدوات ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥] وقد عُرِفَ التكفيتُ في الفن الإسلامي على أنه حفرٌ في معدن النحاس ثم ملء الفراغ بالذهب والفضة.

وقد ظهر أسلوب «لتكفيت في منتصف القرن السادس الهجري في عهد السلاجقة. وظهرت صناعة التكفيت في خراسان، ثم في باقي أجزاء فارس.

وتبوأت الموصل مكانتها في صناعة المعادن وتكفيتها برقائق من الأشرطة الفضية والذهبية، عوضاً عن النحاس الأصفر الذي كان معروفاً من قبل لدى سلاجقة إيران. وتعدُّ مجموعة الأواني المكفتة التي تنسب إلى الموصل أجمل ما أنتج العالم من هذا النوع.

وظلت الزخرفة بالنقش هي الأسلوب الشائع في فن التكفيت، واستخدم التكفيت في تزيين الصواني المعدنية والأباريق والشمعدانات والصناديق والمحابر.

وتشمل النقوش التي تستخدم في التكفيت التشكيلات الثانية والكتابات الزخرفية.

- الحفر والنحت:

الحفر ما حُفِرَ من الأشياء. والحفر: التراب المستخرج من المكان المحفور.

والحفّار من يحفر الخشب ونحوه ليعده للزينة.

والنحت مشتق من الفعل : نَحَتَ نحتاً ونحيتاً : زحر .

والحفر في مادة الخشب أو المعدن أو الجص أو الرخام .

والحفر والنحت عمليتان متداخلتان ، يعتمد فيهما الصانع أوالفنان على أدوات خاصّة ، منها القدوم والإزميل ، فهو يحدد الجزء الذي يريد إزالته من السطح الذي أمامه ، ثم يدق بالقدوم على الإزميل حول الأجزاء التي يريد إزالتها ، ثم يخرجها أو يقشرها بالإزميل .

ويطلق على النحت (النحت البارز) إذا كان همُّ الفنان أو الصانع إزالة أكبر قدر من الأرضية حول الشكل . وتكون النتيجة أن تبرز الصورة أو الشكل فوق الأرضية ليعالج الفنان الصورة بعد ذلك بالتهذيب أو التلوين . ويطلق على النحت (النحت الغائر) إذا كان همّ الفنان الأول أن يحفر الشكل على الأرضية الملساء من خشب أو صخر أو معدن أو غيره . وتكون النتيجة أن الشكل يكون محفوراً أو غائراً على الأرضية .

والنحت البارز يتطلب وقتاً وجهداً ومعالجة تفوق ما هو مطلوب للنحت الغائر (الذى يعتمد أساساً على الحفر) ، ولذلك فإن النحت البارز يُعدُّ في مستواه الفني أرقى من النحت الغائر .

هذا وقد قام الفنان المسلم بحفر حشوات للأبواب والشبابيك والمنابر ، ونحت مثلها في المحاريب والعقود والمقرنصات . وقد احتوت كل هذه النقوش على وحدات هندسية نجمية الشكل أو زخارف نباتية مُحَوَّرة ، تحويراً هندسيا وتكون الحشواتُ مطعمة بالسن أو العاج أو الصدف .

وقد صنعت أبواب وصناديق وكراسي ومقاعد محلاةٌ بالنقوش المحفورة والمطعمة، وقد تحلّت النوافذ والفتحات بالجص المخرم، ويركَّبُ فيها الزجاج المتعدد الألوان معشقاً بالجص.

- الحفر على الخشب والعاج:

تقدم المسلمون في مصر والشام في صناعة الحفر على الخشب في مختلف العهود الإسلامية. واحتفظت صناعة الخشب في العصر الأموي بالأساليب الفنية المعروفة من قبل في سورية. وأبرز مثال لتقدم تلك الصناعة الألواح الخشبية الموجودة في المسجد الأقصى والصخرة المشرفة.

واشتهرت مصر منذ القدم بصناعة الأخشاب وزخرفتها، واستمرت هذه الصناعة في العهود الإسلامية.

أما صناعة العاج فقد ازدهرت في العصر الأموي بالأندلس، ومن أجمل ما أنتجه ذلك العصر علب العاج المزخرفة بنقوش مزدحمة تغطي جسم العلبة وغطاءها، كما يوجد على كثير من العلب تاريخ صناعتها واسم صاحبها.

وكانت مدينة قرطبة في القرن الرابع الهجري مركز صناعة العاج، كما كانت قونية مركز تلك الصناعة في القرن الذي تلاه.

وتُعدُّ التحف العاجية الإسلامية في الأندلس من أعظم ما خلّفته الحضارة الإسلامية في الأندلس منذ القرن الرابع الهجري.

وفي العصر الفاطمي أنتجت مصر حشوات عاجية مزخرفة بعناصر نباتية وحيوانية، ومن التحف العاجية التي تنسب إلى ذلك العصر أبواق عاجية وعلب مستطيلة مزينة بوحدات زخرفية متنوعة، ولم تقتصر الصناعات العاجية والخشبية على العصر الفاطمي، بل شاعت في العصور الإسلامية التي تلته.

وقد انتقلت صناعة العاج إلى صقلية، ومنها إلى إيطاليا.

- الخرط:

هو تدوير الخشب ليأخذ أشكالاً صغيرة أو متوسطة تركب على بعضها لتدخل في تصميم المشربيات والكراسي والمنابر والنوافذ بطريقة التعشيق.

والخراطة: حرفة الخراط.

والخراط: من يشتغل بخرط الحديد أو الخشب.

- الخزف:

يطلق الخزف على ما يصنع من الأواني وغيرها من الطين، ثم يحرق بالنار فيصير خزفاً. والخزّاف: صانع الخزف.

ودراسة الخزف تُعدُّ أحد فروع الدراسة المهمة في علم الآثار؛ لأن تاريخ ظهور الخزف وتطوره في مجتمع من المجتمعات يلقي الكثير من الضوء على مدى رقي هذا المجتمع وتدرجه في سلم الحضارة والعمران.

لقد أنتج المسلمون منذ فجر الحضارة الإسلامية فنّا خزفيا رفيعاً تجلّى في صناعة الأواني والتحف الخزفية المتنوعة التي لا تقل فخامة وجمالاً عن أواني الفضة والذهب المزخرفة. وتوصَّل الفنانون المسلمون إلى مجموعات متنوعة من الخزف، أهمها:

- الخزف أو الزخارف المحفورة أو البارزة.

- الخزف ذو البريق المعدني الذي يتميز بصناعته وطلائه وزخرفته.

وتدلُّ الدقة والمهارة الفائقة في عمل الرسوم والزخارف المختلفة على الأواني المتنوعة بواسطة الفرشاة مباشرة على مدى ثقة الخزاف المسلم وسيطرته على فنه وبراعته في الرسم والحفر، كما تدل على نزوعه إلى التجريد والتبسيط.

وقد أنتج الفنان المسلم أنواعاً شتّى من الأواني كالفناجين والأقداح والكئوس والصحون والأبواب والقوارير والأباريق والأزيار والمسارج.

كما صنع البلاط الخزفي أو القاشاني على أشكال مختلفة لكسوة الجدران والمحاريب، هذا بالإضافة إلى قطع الخزف المتعددة الأحجام والألوان لاستخدامها في صناعة الفسيفساء.

وتفنن الخزافون المسلمون في المشرق الإسلامي وفي بلاد الأندلس في زخرفة مصنوعاتهم الخزفية بالأشكال الهندسية الجميلة والصور النباتية التجريدية، وكان بعضها ينتهي على شكل مراوح نخيلية، أو كتابات زخرفية.

وشاع طلاء المصنوعات الخزفية ببعض الأملاح الكيماوية التي تكسب الأواني الخزفية بريقاً ضوئيا متعدد الألوان، وخصوصا في بلاد العراق، وبذلك استغنى المسلمون عن استعمال أواني الذهب والفضة التي جاء الشرع بتحريمها نتيجة لذلك الابتكار الخالص.

وبلغت صناعة الخزف ذروتها في العصر العباسي الثاني في القرنين السادس والسابع الهجريين. فإلى جانب الأشكال الهندسية الجذابة والكتابات الكوفية على الأواني الخزفية ظهرت رسوم نباتية وغيرها.

وشملت مراكز صناعة الخزف بلاد العالم الإسلامي كله من بلاد ما وراء النهر حتى بلاد الأندلس، فقد اشتهرت نيسابور وسمرقند وقاشان بإنتاج أنواع كثيرة من الأواني الخزفية التي تُعدُّ غاية في الإتقان والجمال.

وتميزت قاشان بصناعة القاشاني وهو نوع من البلاطات الخزفية ذات بريق معدني شاع استعماله في كساء الجدران والمحاريب. وكانت تلك البلاطات تزخرف عادة بكتابات بارزة.

وكانت بلاد فارس مركزاً رئيسًا لصناعة أنواع كثيرة من البلاط الخزفي، ولا سيما الفسيفساء المعروفة بالموزاييك.

- الزخرفة:

فن تزيين الأشياء أو التطريز أو التطعيم وغير ذلك، يقال: زخرف الشّيءَ: زَيَّنَهُ وأكمل حسنه.

قال تعالى: ﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]

وتزخرف: تَزَيَّنَ

والزخرف: الذهب. وهو أيضاً كمال حسن الشيء.

قال تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]

زخرف مفرد. زخارف جمع.

وكانت العناية بالمصحف الشريف بعد جمعه في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي اللّه عنه ـ وبعد نسخ المصاحف المعتمدة في عهد عثمان بن عفان ـ رضي اللّه عنه ـ من أهم الأسباب التي أدت إلى تطوير أنماط من الزخارف الإسلامية، وظّفَها الفنان المسلم في زخرفة غلاف المصحف وزخرفة لسان الغلاف. واستخدم الفنان شتّى الأساليب الصناعية عبر العصور الإسلامية في ترصيع وتذهيب وتلوين وضغط وتخريم وطبع المصاحف.

كما شاع على أغلفة الكتب المتعددة نمط من الزخرفة أقبل صناع السجاد على استخدامه في زخرفة السجاد. وظهر تأثيره كذلك في زخرفة أبواب المساجد المصنوعة من الخشب المصفح بالنحاس.

وعن طريق العناية بالمسجد والرغبة في تجميله ازدهرت الفنون الزخرفية والتطبيقية الإسلامية.

- **زخرفة التوريق «الأرابيسك»:**

التوريق اصطلاح في الفنون الإسلامية يقصد به استخدام الأوراق النباتية في زخرفة أعمال النحت على الرخام والمرمر والحجر والخشب، أو في الرسوم الحائطية أو في تذهيب الكتب وجلودها، أو في الرسوم على الورق، أو في الحشوات الجصية.

وأكثر أوراق النباتات استخداماً في أعمال التوريق هي المراوح النخيلية وأوراق العنب. وتتكون الوحدة الزخرفية من تفريعات نباتية تنبثق منها أشكال من المراوح النخيلية أو أنصافها متجمعة أو متداخلة.

ونشاهد أعمال التوريق خاصّةً في الزخارف التي تزين تيجان الأعمدة.

وقد اقتبس الفنانون المسلمون هذا اللون من الفن الساساني، وأصبح من خصائص الفنون الإسلامية التي تتميز بها على اختلاف أنواعها.

وفي بعض الأحيان تنتهي مدّات الحروف الكوفية كما في أعمال التذهيب والنقوش الحائطية بتفريعات نباتية، أو تُزَيَّنُ الحروف بمراوح نخيلية تشبه زخارف التوريق، ويعرف هذا الأسلوب بالخطِّ الكوفيِ المزهر.

وزخرفة التوريق إذن هي الزخارف المكونة من فروع نباتية وجذوع مثنية ومتشابكة ومتتابعة، وهي الزخارف المكونة من فروع نباتية وجذوع مثنية ومتشابكة ومتتابعة، وتبدو بسبب شِدَّة بعدها عن الطبيعة كأنها رسوم زخرفية.

وقد بدأت الزخارف المجردة (الأرابيسك) تبدو سمة مميزة للزخارف الإسلامية منذ القرن الثالث الهجري في العصر العباسي، وخصوصا في مدينة سامرّاء، وظل هذا النوع من الزخارف النباتية ينمو إلى أن وصل إلى أقصى ازدهاره في القرن السابع الهجري، وانتشر استعماله في التحف المختلفة سواءً أكانت من الخشب أو المعدن أو الزجاج أو الخزف. كما استعملت زخارف (الأرابيسك) في زخرفة العمائر والصفحات المذهبة من المصاحف والكتب.

وزخرفة التوريق أو كما يطلق عليها (الأرابيسك) في مجال الفنون تستخدم للدلالة على ذلك الأسلوب المميز الذي ظهر في الفن الإسلامي لاستخدام الزخارف النباتية المجردة التي استخدم مصطلح (التوريق) في العربية للدلالة على الأصل النباتي لتلك الزخارف، واستخدم مصطلح (الأرابيسك) بين المشتغلين بالفنون كلفظ موجز يدل على أصله العربي.

- السجاد:

تحظى دراسة السجاد بعناية خاصة بوصفها أحد فروع الدراسة في علم الآثار. وللسجاد أهمية خاصة في دراسة الفنون الإسلامية. وقد كان هناك

ثلاثة أنواع من السجاجيد الإسلامية، هي:

- سجاجيد الجدران: وتعرف بالمعلقات؛ لأنها تعلق على الحوائط.

- سجاجيد تفرش بها أراضي الغرف والممرات والأبهاء.

- سجاجيد تزين بها أراضي الغرف، ولكنها ليست للسير عليها.

وهناك أنواع أخرى من السجاد، منها سجاجيد الصلاة، والأغطية التي تستخدم للوسائد والنمارق (الوسائد التي يتكأ عليها) والمقاعد وغيرها.

ويرجع الفضل للسلاجقة في نشر صناعة السجاد في بلدان العالم الإسلامي. وقد عرف المسلمون السجاد بعد اعتناق هذه القبائل الدين الإسلامي، ثم أدخل السلاجقة السجاد إلى بلادهم في تركيا بعد أن أدخلوا عليها تحسينات، أزالت عنها السمة البيزنطية.

وأضيفت إلى صناعة السجاد الزخارف النباتية بدلاً من الزخارف الهندسية التي كانت سائدة من قبل.

وتتميز صناعة السجاد الأندلسي بالألوان الهادئة واستخدام اللون الأسود في تحديد بعض التفاصيل.

وعثر في المغرب على سجاد تظهر زخارفه على أشكال نجمية متكررة. أما في العصر المملوكي فقد تميز السجاد بزخارف هندسية ملونة بالأزرق على أرضية حمراء، إضافة إلى وجود الزخارف الهندسية والزخارف النباتية أحياناً جنباً إلى جنب.

وبلغت صناعة السجاد عصرها الذهبي في عصر الدولة الصفوية الفارسية بإيران؛ حيث زاد إنتاج السجاجيد لكثرة الطلب عليها من أوربا، واستبدل بالوحدات الهندسية الزخرفية زخارفُ نباتيةٌ. وكانت تبريز مركزاً رئيساً لصناعة السجاد، إضافة إلى مراكز أخرى مثل همدان وقاشان.

وفي العصر العثماني اشتهرت آسيا الصغرى بسجاد غلبت عليه ميزات السجاد التركماني، وتطورت زخارف السجاد التركي من وحدات هندسية إلى أنواع أخرى متعددة من حيث الزخرفة.

-صناعة الزجاج والبلور:

يدل تنوع المنتجات الزجاجية الإسلامية على براعة الفنان المسلم في صياغة وتطويع هذه الأشكال أداءً وإثراءً، وتعدّت المنتجات الزجاجية الإسلامية نطاق المحلية إلى العالمية شرقاً وغرباً.

ويُعدُّ العصر الإسلامي باكورة استخدام الزجاج ذي البريق المعدني وازدهاره.

ويلاحظ أن الازدهار الذي حدث في صناعة الزجاج والبلور في الإسلام كان في تنوع الأشكال وثرائها ووظيفتها، وشمل ذلك الازدهار تجارب جديدة لعناصر المعادن المختلفة وعلاقتها بمكونات الزجاج وتشكيله.

ومن المميزات الواضحة في تلك الصناعة معرفة الفاطميين لأسلوب معالجة الزجاج الملون من طبقتين بالحفر، فقد عولجت هذه المنتجات بوضع

طبقة من الزجاج الشفّاف أو الأبيض على أنبوبة التشكيل، ثم تغطيتها بطبقة أخرى من زجاج ملون بلون مغاير، فتغلف الطبقة الأولى بانتظام، وينفتح الناتج في قالب. ويمكن التحكم في طبقة الزجاج الملون سواء أكانت رقيقة أم سميكة.

وكان الصناع يشكلون الأواني الزجاجية بنفخ الزجاج المصهور في قالبين، الواحد بعد الآخر. وكانت دمشق في العهد المملوكي وعلى زمن السلطان الظاهر بيبرس أهم مراكز إنتاج الأواني الزجاجية المملوكية، بالإضافة إلى حلب التي ذاعت شهرتها في إنتاج أفخر المنتجات الزجاجية التي كانت تصدر إلى مختلف أجزاء الدولة الإسلامية.

وكانت زخارف الأواني الزجاجية في العصر المملوكي تتكون من عناصر كتابية وتتضمن أحياناً رسوماً جميلة وتتميز بذوق رفيع، كما تظهر في بعض الأواني الجميلة أشرطة الزخارف الكتابية وعناصر أخرى.

ومن أجمل ما أنتجه العصر المملوكي القناديل الزجاجية التي أمر الحكام والأمراء بصناعتها لتوضع في المساجد. وكانت هذه القناديل مصنوعة من الزجاج المموه بالمينا المتعدد الألوان وبالذهب، تحتفظ بشكل مميز، وكانت تحمل اسم أصحابها وشاراتهم الخاصة بهم، كما تحمل نقوشاً كتابية بالإضافة إلى الزخارف النباتية التي حلت محلّ الزخارف المجردة.

الزجاج المموه بالمينا:

وقد بدأ أسلوب الزخارف بالمينا الملونة يحلُّ محل أسلوب البريق المعدني في مصر في أواخر دولة المماليك وحتى عهد الأيوبيين، إلى جانب أن عناصر الزخرفة في معالجة الزجاج المموه بالمينا تختلف اختلافاً كبيراً عن الزخارف التي كانت تزين الأواني الزجاجية الفاطمية ذات البريق المعدني. وظلّ إنتاج الزجاج الذي يشبه المرمر أو الرخام المجزع والزجاج المنفوخ بغير تغير أو تطور يذكر.

- الصناعات المعدنية والحلي:

تشمل الصناعات المعدنية وصناعة الحلي صناعة الأباريق والأواني المتنوعة والأطباق والأمشاط والأقفال ومقابض الأبواب والمفاتيح والمحابر والقناديل والحلي كالعقود والخواتم والأقراط، كما تشمل النقود وغيرها.

ومع أنه لم يعثر على الكثير من الصناعات المعدنية التي يمكن أن تنسب إلى العصر الأموي إلا أن هناك عددا من الأباريق البرونزية في كثير من متاحف العالم، ومنها الإبريق المحفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة. كما اعتنى الأمويون بصناعة العقود.

وبلغت الصناعات المعدنية في العصر العباسي أوْجَها من ناحيتَي الكم والكيف لتلبية احتياجات العالم الإسلامي والبلاد الأجنبية. وظهرت صناعات معدنية جديدة، منها أواني الفضة المزخرفة وأباريق الذهب التي تحمل زخارف نباتية وحيوانية.

واحتوت كنوز الفاطميين على الكثير من الحلي الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة والميناء، ومنها الخواتم والأقراط الذهبية والفضية المتنوعة المصنوعة على شكل أهلَّة، كما زخرفت تلك الحلي بزخارف متنوعة، وتفنن الفاطميون في صناعة صنابير المياه.

وتميزت الصناعات المعدنية الإسلامية في العصر المغولي بالدقة، ومن بين هذه الصناعات في ذلك العصر صناعة الحديد للأغراض الحربية كالسيوف والخناجر والخُوَذِ المخروطية.

أما صناعة الحلي فيبدو أنها كانت متقدمة رغم ندرة ما عثر عليه من هذه الصناعة.

وفي العصر المملوكي ازدهرت صناعة المعادن بأنواعها، واستخدمت شرائط النحاس في تغطية الأبواب الخشبية للمساجد والقصور، وذلك بعد نقشها بزخارف هندسية جميلة. ومما ساعد على ازدهار صناعة المعادن في هذا العصر اهتمامُ المماليك بصناعة أدوات توضع في المساجد، مثل الشمعدانات والمناضد والصناديق التي تحفظ فيها المصاحف والمحابر والثريات. ولقد استخدم البرونز في صناعة تلك الأدوات المعدنية، وكانت تزخرف بطريقة النقر وطريقة التكفيت. وظهر في هذا العصر الزخارف المتشابكة وتوزيعات نباتية.

- الطِراز:

الطراز هو النمط والشكل. والطراز هو الجيد من كُل شيء.

يقال: ليس هذا من طرازك، أي ليس هذا مما يليق بك.

والفعل: طرَّز الثوب وغيره: جعل له طرازاً.

وطرَّزهُ: وشَّاه وزخرفه.

والطراز مفرد، والجمع طُرُزٌ وأطْرِزَةٌ.

وتنقسم الآثار الإسلامية إلى طرزٍ وأساليبَ كثيرة، ولكن يوجد بينها جميعاً طابَعُ الإسلام والعروبة.

وتنسَبُ الطرزُ الإسلامية إلى الدول الإسلامية من أموية وعباسية وسلجوقية ومغولية وصفوية وفاطمية وأندلسية، وهندية مغولية، وتركية عثمانية.. إلخ.

فيقال: طراز أموي، وطراز عباسي، وطراز سلجوقي، وطراز مغولي.. هكذا.

وقد نشأ الفن الإسلامي عند الشعوب المسلمة على أساس فنونها السابقة مع خضوعه لأحكام العقيدة الإسلامية. فقد تميز هذا الفن بالبعد عن التصور للأشخاص والحيوانات وكل ما فيه روح، واقتصر على الزخارف الهندسية والعناصر النباتية التي أدخل عليها الفنانون شيئاً من التحوُّر. وكاد التصوير يقتصر على توضيح الكتب العلمية وبعض الكتب القصصية

والتاريخية، وتصوير الطبيعة البحتة التي لا تظهر فيها صور الكائنات الحية. وتفوّق هذا الفنُّ في الإجادة والإتقان. وأبدع الفنانون المسلمون في التأنق أو الزخرفة التي بلغتها الفنون الإسلامية.

وعملت وحدة الدولة الإسلامية وتعاليم الإسلام على تحقيق قدر من الامتزاج والتآلف بين الفنون الإسلامية في مختلف المناطق التي ظهرت فيها.

ورغم أنه لم يُعْثَر على آثار فنية مؤكدة من عهد النبي ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين فقد اتخذ الفن الإسلامي طابعاً متميزاً في عهد الأمويين ٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠م، تدلُّ عليه مخلفاتُ ذلك العصر.

وعندما استولى العباسيون على الخلافة عام ١٣٢هـ (٧٥٠م) نقلوا مركز حكمهم إلى العراق، وأسسوا مدينة بغداد عام ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، وبرز الأثر الإيراني الساساني في الإنتاج الفني الإسلامي، مما أدّى إلى ظهور طراز فني إسلامي جديد هو الطراز العباسي المبكر.

ومع ضعف الخلافة العباسية وظهور الخلافة الفاطمية في مصر والخلافة الأموية في الأندلس تميزّ الفنُّ في كل دولة من هذه الدول بمميزات خاصة، وإنْ جمع بينها الروح الإسلامي الغربي.

وَوُجِدَ في مصر الفن الفاطمي ٣٥٨ - ٥٦٧هـ/ ٩٦٨ - ١١٧١م، ثم الطراز الأيوبي ٥٦٧ - ٦٤٨هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٠م، ثم الطراز المملوكي ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٦م. ووجد في الأندلس فن أندلسي أطْلِقَ

عليه الطراز الأمويُّ الغربيّ استمر إلى القرن الخامس الهجري، وقام في أعقابه الطرازُ الأسباني المغربي في القرن السادس الهجري الموافق القرن الثاني عشر للميلاد.

أما في مشرق العالم الإسلامي فقد حلّ الطِّرازُ السلجوقي في القرن الخامس للهجرة الموافق القرن الحادي عشر للميلاد محلَّ طراز سامرّاء. وقد تطوّر عنه الفن الأيوبي والمملوكي؛ لأن الأيوبيين والمماليك كانوا على صلة قوية بالسلاجقة.

وقام في إيران بعد الطراز السلجوقي طرُزٌ إيرانية كان أولَّها الطِّرازُ المغولي في القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد)، والطراز التيموري في القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد)، ثم الطِّراز الصفوي ـ من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر للهجرة (السادس عشر إلى الثامن عشر للميلاد).

ووجد في الهند طراز هندي إسلامي تأثر إلى حدٍّ ما بالطراز الإيراني وظهرت فيه الصبغة الهندية المحلية.

ونظراً لقدوم المسلمين إلى الجزيرة العربية لأداء فريضة الحج والعمرة من مختلف أنحاء العالم، ولزيارة المسجد النبوي الشريف فقد تأثرت فنون الجزيرة العربية بما كان عليه هؤلاء الحجاج من تقاليد فنية مختلفة ظهرت في آثار الجزيرة العربية.

وقد تطرق الفن الإسلامي إلى مختلف المجالات من تخطيط للمدن وآثار معمارية وفنون تشكيلية وزخرفية وتطبيقية في مجال الصناعة والإنتاج، وبرز المسلمون في هذه المجالات المختلفة.

- العمارة:

العمارة: نقيض الخراب. والعمارة: البنيان، وما يُحْفَظُ به المكان.

وفنُّ العمارة: فنُّ تشييد المنازل ونحوها وتزيينها وفق قواعد معينة.

وقد تأثر فن العمارة الإسلامية بما كان للعرب قبل الإسلام من فنٍّ معماريٍّ ازدهر نوعٌ منه حتى شاع خارج الجزيرة العربية. فقد وجدت عمارة الحصون في بلاد العرب منذ الميلاد. وكان من أشهر تلك الحصون في بلاد اليمن: قصر غمدان، وبينون، وسلحين. وورد ذكرها في الأدب الجاهلي.

وكانت الحصون تقام عند العيون والآبار على طول طرق القوافل الممتدة عبر جزيرة العرب على هيئة بناء مربع يتألف من عدة طوابق يحفُّ به أسوار. وله رحابٌ ومداخل حصينة، وكان يدخل في تشييد الحصن استخدام الصخور الضخمة والأحجار إضافة إلى قوالب اللَّبن الصلبة. وكانت جدران الحصن تُكْسَى بالجص وتزخرفُ أحياناً بالصور والنقوش.

وكانت تلك الحصون تتخذ مساكن للقبائل والبطون التي تشرف على طرق القوافل، كما كانت تتخذ أسواقاً للتبادل التجاري ومستودعات للمؤن والذخائر، وأبراجاً للمراقبة وأماكن للاجتماع والتشاور، وملاجئ يتحصن بها المدافعون ضد الخطر.

وكـان بالمدينة المنورة على عـصـر النبي ﷺ حـصـون بلغ عـددها ١٩٨ حصناً، وورد ذكرها في بعض غزوات النبي ﷺ.

وقد بنى الأمويون فيما بعد في صحراء الشام حصوناً تأثرت في شكلها وعمارتها بالحصون القديمة التي ازدهرت في جنوب الجزيرة العربية في دولة سبأ وحِمْيَر باليمن.

وورد في القرآن الكريم ذكر الحصون (الآية ٢ من سورة الحشر)، والصياصي (الآية ٢٦ من سورة الأحزاب)، والبروج (الآية ٧٨ من سورة النساء)، والقصور (الآية ٧٤ من سورة الأعراف) والغرف (الآية ٢٠ من سورة الزمر)، والجدران (الآية ١٤ من سورة الحشر)، والصروح (الآية ٤٤ من سورة النمل) والقرى المحصنة (الآية ١٤ من سورة الحشر). وورد في الحديث الشريف ذكر البنيان الذي يَشُدُّ بعضه بعضاً (صحيح البخاري ٨٨ باب الصلاة).

وقد عني المسلمون بتشييد عدد كبير من القصور في أغلب بقاع العالم الإسلامي منذ العصر الأموي.

وكانت البيوت الكبيرة والقصور في عهد المماليك والأتراك في مدينة القاهرة وفي غيرها من عواصم العالم الإسلامي تشمل طابقاً أرضيا للرجال أطلق عليه كلمة سلاملك، وقسماً للحريم أطلق عليه حرملك.

وكانت أغلب القاعات التي كانت في الطابقين تطل على الجبهة البحرية لاستقبال النسيم عند اشتداد الحرارة صيفاً.

- **عمارة المساجد:**

يعدُّ بناء المساجد وتعميرُها من أفضل القربات إلى اللّه تعالى، ولم تقتصر وظيفة المسجد في المجتمعات الإسلامية على كونه مكاناً لتأدية الصلاة، بل كان مركزاً للحكم والإدارة والدعوة والتشاور، كما كان محل القضاء والإفتاء والعلم والإعلان وغير ذلك من أمور الدين والدولة.

وكان المسجد النبوي الشريف أول عمل معماري مهم في الإسلام؛ ففيه وضع أساس فن العمارة والزخرفة الإسلامية. وظل المسجد النبوي الشريف نموذجاً احتذاه المسلمون في الأقطار الإسلامية المختلفة طوال القرون الأربعة الأولى من الهجرة، يدلُّ على ذلك آثار مساجد البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، ومسجد بني أمية في دمشق. وصار طراز المسجد النبوي الشريف أهم الطرز المعمارية لبناء المساجد في العصور المختلفة، حرصاً على الاقتداء بالسنة النبوية الشريفة.

ومع تطور العمران وامتداد حدود الدولة الإسلامية حرصت الطرز المعمارية المختلفة على أن تضيف إلى أساليب التخطيط والتصميم عناصرَ معمارية خاصة تميز كلا منها، وانتقلت بعض هذه العناصر إلى سائر أنواع المباني الإسلامية الأخرى من قصور ومدارس وقلاع وغيرها، وذلك فضلاً عن الأساليب الزخرفية المختلفة المتمثلة في الأشكال الهندسية والزخارف النباتية والزخرفة الكتابية.

وأدت العناية بالمساجد والرغبة في تجميلها إلى ازدهار الفنون الزخرفية والتطبيقية الإسلامية، فتطورت فنون المعادن بفضل العناية بالأثاث المعدني بالمساجد، كالأباريق والثريات والشماعد والمساند، بالإضافة إلى النوافذ والأبواب المصفحة.

وتطورت الصناعات الخشبية بمختلف أنواعها تبعاً للاهتمام بالأثاث الخشبي من منابر وكراسي وغيرها.

وتطورت فنون الزجاج عن طريق العناية بمصابيح الإضاءة والمشكاوات وزجاج النوافذ، وارتقت فنون السجاد بفضل الاهتمام بالفرش، فاستمدت صناعة السجاد اسمها من لفظة المسجد.

- الفسيفساء:

قطع صغيرة من الزجاج المكسر أو الخزف أو الحجر، يُضَمُّ بعضُها إلى بعض في علاقات لونية، وتثبتُ بالجصّ أو الأسمنت لتصبح لوحة فنية تُزَيَّنُ بها أرض البيت أو جدرانه.

والفِسْفِسُ: البيت المصور بالفسيفساء.

وقد عُرِفَتْ صناعة الفسيفساء في الفن الإسلامي على أنها تثبيت مجموعة من قطع الزجاج الملون والشفاف وقطع الحجر الأبيض والأسود، وكذلك القطع الخزفية فوق طبقة من الجص أو الإسمنت التي تغطي السطح.

وتكون عملية التثبيت هذه منظمة لقطَع الفسيفساء بحيث تُكَوِّنُ أشكالاً زخرفية جميلة متناسقة في اللون والشكل تمثل في مجموعها مشاهد معينة.

وقد ازدهرت صناعة الفسيفساء في العهد الأموي بشكل واضح يدلُّ على ذلك ما وُجدَ من الفسيفساء في مساجدهم، ومن بينها مسجد قبة الصخرة بالقدس، والتي تُعَدُّ زخارفُها أوّلَ وأقدمَ محاولة ظهرت في العصور الإسلامية لهذا النوع من الفن الزخرفي المعماري.

- الفنون التشكيلية:

هي الفنون التصويرية التي يعمل فيها الفنان على نقل ما في الطبيعة الحية أمامه بالرسم أو التصوير أو النحت ليسجل ويجسد ما في الطبيعة من جمال.

والمعروف أن العرب كانوا يعبدون الأصنام قبل الإسلام، ووُجد من بينهم أيامَ الجاهلية من صنع الصور والتماثيل. وقد أشارت الأحاديث النبوية الشريفة إلى المصوِّرين الذين كانوا يصنعون الأصنام، ونهتهم عن هذا العمل وحذّرتهم من مزاولة صناعة الأصنام من تماثيل وصور، بما يدلُّ على أنه كانت للعرب خبرة بالفن التشكيلي بصرف النظر عن الأهداف التي كانوا يرمون إليها.

- الفنون التطبيقية:

هي الأعمال التي يلجأ فيها الصانع أو الفنان لتوظيف فنه الإبداعي في إنتاج عمل يفيد الناس في حياتهم الخاصة أو العامة.

وتظهر الفنون التطبيقية في كل ما يقع تحت يدنا خلال حياتنا اليومية من مشغولات يحاول الصانع فيها أن يخرج شيئاً جميلاً؛ فالكرسي الذي نجلس عليه، وفنجان الشاي الذي نشرب فيه، والقلم الذي نمسك به، والمظروف الذي نضع فيه الرسالة، والإناء الذي نأكل فيه الطعام ـ كلها تخضع لعمل الفنان التطبيقي.

وكان للعرب خبرة بأنواع الفنون التطبيقية الوثيقة الصلة بمعيشتهم، مثل صناعة الفخار والحلي والنسيج والجلود والأسلحة.

وفي الحديث الشريف ما يشير إلى اتخاذ العرب بعض التحف الفنية، مثل المنسوجات المزوقة بالصور والسيوف والحلي وغيرها.

وتزخر متاحف الفن الإسلامي في معظم بلدان العالم بنماذج رائعة أبدعها الفنانون المسلمون في مختلفة جوانب الفنون التطبيقية.

- المشكاة:

كُوَّةٌ غير نافذة في حائط يوضع فيها مصباح للإضاءة:

والمشكاة أيضاً ما يحمل عليه القنديل أو المصباح أو ما يوضع فيه.

وأصل الفعل: شكا شكْواً وشكوى، وشكاةً: تألَّم مما به من مرض ونحوه.

وشكا الشكوة: فتحها وأظهر ما فيها.

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ**﴾ [النور: ٣٥].

ومشكاة مفرد، والجمع مشكاوات.

والمشكاوات في الفن الإسلامي قناديل زجاجية كان الحكّام والأمراء في العصر المملوكي يأمرون بصناعتها لتوضع في المساجد.

وكانت تلك القناديل تصنع من الزجاج المموه بالميناء المتعدد الألوان وكانت كذلك تُمَوّهُ بالذهب. ولا شكل مميز لها.

وكانت المشكاوات تحمل أسماء من أمروا بصنعها، وتحمل إلى جانب الأسماء الشارات الخاصة بهؤلاء الحكام.

كما كانت تحمل نقوشاً كتابية بالإضافة إلى الزخارف النباتية.

- المنسوجات:

عني المسلمون منذ العصر الأموي بصناعة الملابس من المنسوجات. ومع زيادة الترف في العهد العباسي نشطت دُور النسيج في أنحاء الدولة العباسية تنتج أفخر المنسوجات للخلفاء. وأنشئت لهذا الغرض مصانع النسيج الحكومية والتي كانت تحمل اسم (دور الطراز).

وحرصت الحكومة الطولونية على إمداد الحكام في بغداد وسائر البلاد الإسلامية بالمنسوجات الكتانية والحريرية. وكان اسم الخليفة وألقابه تطرز على شريط النسيج، بالإضافة إلى أشرطة تزخرف برسوم نباتية أو حيوانية.

ولم تقتصر صناعة الكتان على مصر وحدها، فكانت لهذه الصناعة مراكز في فارس. أما المنسوجات القطنية فقد كان مشرق الدولة الإسلامية مركزاً لصناعتها، كما كان مغرب تلك الدولة مركزاً لصناعة الكتان. فقد حُمِلَ القطنُ من الهند إلى بلاد ما وراء النهر وشمالي فارس قبل أن ينقل شرقاً أو غرباً.

وكانت كابُل إبّان القرن الرابع للهجرة تُصدِّرُ الثياب القطنية المشهورة بجودتها إلى الصين وخراسان، ومنها انتشرت صناعة المنسوجات إلى البلدان المجاورة.

ونشر الحمدانيون زراعة القطن في أرض الجزيرة، ثم انتقلت زراعته إلى الشمال الإفريقي والأندلس. أما المراكز الرئيسة لصناعة القطن فكانت تقع في شرقي فارس، وهي مرو، ونيسابور، وكرمان التي اشتهرت بثياب القطن الفاخرة.

أما المنسوجات الحريرية فقد ازدهرت في إيران إبّان العصر العباسي، وتقدّمت تقدُّماً عظيماً زمن البويهيين، واشتهرت إيران بأفخر المنسوجات الحريرية التي اشتملت على زخارف خطية بالكتابة إلى جانب زخارف نباتية وحيوانية، واشتهرت سمرقند بوصفها مركزاً رئيسًا لصناعة الحرير وكذلك اشتهرت بغداد واشتهرت الكوفة بكوفياتها الحريرية.

وازدهرت صناعة الحرير بالأندلس إبّان العصر الأموي ووجدت نماذج جميلة لمنسوجات حريرية من فترة خلفاء قرطبة.

ومن المنسوجات الإسلامية أيضاً الموهير المصنوع من شعر الماعز، والقماش الشفّاف (الشيفون) الذي كان يصنع من الحرير أو القطن، و(الأطلس) وهو من الحرير والتفتاه و(الساتان) وهو أفخر المنسوجات الحريرية، وكان من ملبوسات الأغنياء.

***